Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشهوات، وعمّقت جروحها النزوات المادية المبتذلة.

إذن، في الخرجة الثانية، نحن أمام مفارقة موزّعة على حدين أولهما: يمثله دون كيشوت الذي خرج تاركاً كل شيء بحثاً عن المجد والشهرة والخلود، وثانيهما: يمثله سانشو الذي خرج معه بحثاً عن الأطماع الدنيوية والغنائم الموهومة، وستظل هذه المفارقة ملازمة لهاتين الشخصيتين على امتداد صفحات الرواية وزمنها الفيزيائي، لأن كل الحوارات التي تدور بينهما لا تقرب أحدهما من الآخر إلا في حدود بسيطة جداً، فقد حاول دون كيشوت أن يرتقي بطموحات سانشو ورغباته، وأن يحضّر سلوكه لكي يصير شاعراً بالمعنى والسلوك معاً، أي أن يصير فارساً، لكنه يخفق، ويعترف بهذا الإخفاق؛ كما أن سانشو حاول طويلاً أن يهبط بسيده إلى العالم الأرضي/ الواقعي ليرى ما يحدث حقيقة، وأن يتبصر في الأمور ويدركها كما هي في طبيعتها دونما إضافات، وأن يتخلى عن نظرته الحالمة والخيالية لأنها لا تجلب لهما إلا السخرية والإحباط ودهشة الآخرين، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يقلل أو يحدّ من طموحات دون كيشوت أو من خياله الجامح، ولهذا يخفق سانشو أيضاً، وكلاهما يرضى بما حاول وبما وصل إليه من إخفاقات، فنظرة دون كيشوت تتمثل في أن المحاولة لإعادة العدل إلى الأرض هي الشرف والفروسية وأن النتائج لا تهمه إطلاقاً، وأن ما يهمه فعلاً هو إنهاك الذات والروح في المحاولة، بينما نظرة سانشو تذهب إلى قرن الفروسية بالنتائج الناجحة وحسب، ومع الإقرار بهذا التنافر العجيب والمنطقي في آن معاً فإن الخيالي والواقعي نفرا معاً من المجتمع الإنساني وعلاقات القربى والدم نحو تخوم المجهول بحثاً عن الرغبات المضمرة والمعلنة على السواء، فـ دون كيشوت يحارب طواحين الهواء باعتبارها أشباحاً دخيلة على حياة الإنسان؛ أشباحاً غايتها طرد قوة الإنسان وحضوره، أما سانشو فإنه لا يرى فيها إلا إنجازاً واقعياً للعقل البشري لا يؤذي الإنسان أو يسحقه، ولهذا فإن محاربتها ضرب من الجنون والعبث ليس إلا، والتفارق ما بين النظرتين (الخيالية والواقعية) يتضح حين ينشغل سانشو بالأكل وشرب الخمر (أي سعيه إلى تلبية نداءات الأحشاء) في حين كان دون كيشوت يخطب في رعاة الفقاعز. إن المفارقة كامنة بين ما هو مادي وما هو روحي، فما أغربها وما أعجبها أيضاً وهي تسير في هذه الثنائية التلازمية المدهشة، إنها ثنائية الدم واللحم (السانشوي) والروح (الدون كيشوتية) في واقع معيش من جهة ومأمول من جهة أخرى.

ومنطق شخصية دون كيشوت الذي طوّره سرفانتس لتظل في سياق (النبيل